

الهادفة إلى مساعدة المتعلم على تفعيل قدراته وموارده في العمل على تحصيل المعارف والمكتسبات والمهارات والكفايات وعلى استثمارها في تلبية الوضعيات الحياتية المتنوعة⁽¹⁾. فالعملية التعليمية تشمل أركاناً أساسية لنجاحها هي:

- المتعلم باعتباره محور العملية التعليمية.

- المعلم: بوصفه محرّكاً هادفاً ومنظماً بارعاً.

بواسطة آليات منها الوضعيات التعليمية التعليمية، والمعارف (النظرية والعملية).

هذه الأركان إذن -تعمل بشكل تفاعلي، يشارك فيها المعلم والمتعلم معاً لتحقيق الهدف المسطر لغوياً كان أو تجريدياً أو مادياً. والعملية التعليمية لا تتحقق إلا بإجراءات خمس لخصها أحمد حساني في:

- التحليل اللساني.
- اختيار المادة التعليمية (المستوى).
- التدرج في تعليم المادة.
- عرض المادة اللغوية.
- التمرين اللغوي وهو رديف التلقين، والتكرار والمعالجة.

دور المشاهدة في تثبيت الذاكرة التواصلية

د. بركاهم العلوي

المدرسة العليا للأساتذة

بوزريعة-

الرائفص.

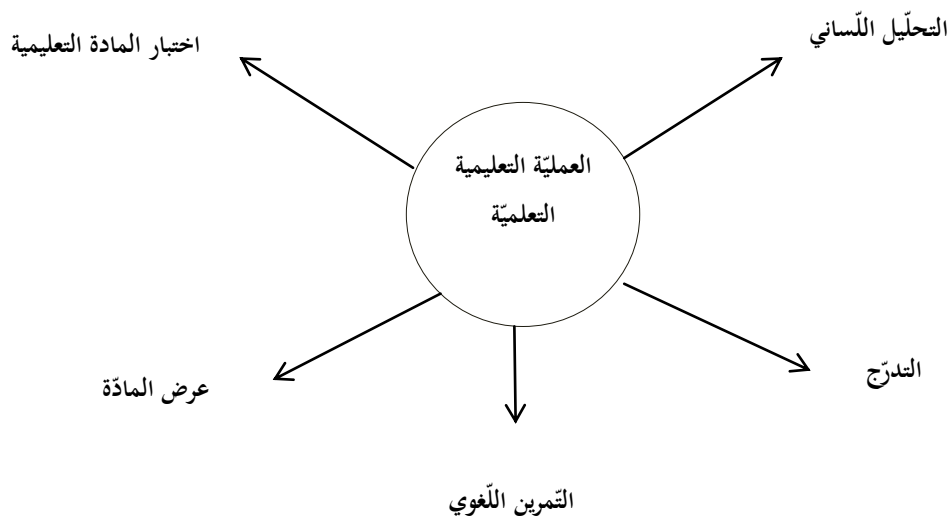
تحرص هذه الورقة لتحديد العلاقة بين متغيرين: الملكة التواصلية والتعليمية في وجود المشاهدة أو الأداء الشفهي وهي: العلاقة تبين شدة الوصل بين هذه الآليات باستعمال وضعيات تعليمية محدّدة وهادفة.

إنه عمل تعليمي متواصل هدفه انتهاء هو التجانس اللغوي بين اللغة المكتوبة المفترضة والشفوية المأمولة والمطلوبة، عبر المهارات اللغوية الأربعة. الكلمات المفتاحية:

المشاهدة- الأداء الشفوي- التعبير الشفوي- الملكة التواصلية- التعليمية - المهارات اللغوية

لا يختلف إثنان في اعتبار اللغة أداة اتصال لتحقيق التواصل الاجتماعية؛ ولذلك شغلت تعليمية اللغة حيّزا كبيرا في علوم شتته: علم النفس، علم الاجتماع، اللسانيات، وارتبط التعليم بالتعلم، والتحمها معانها حتى باتا مصطلحا لمفهومين أو مفهوما لمصطلحين.

يقول أنطوان صيّاخ عن التعليمية "هي مجموعة الجهود والنشاطات المنظمة، و

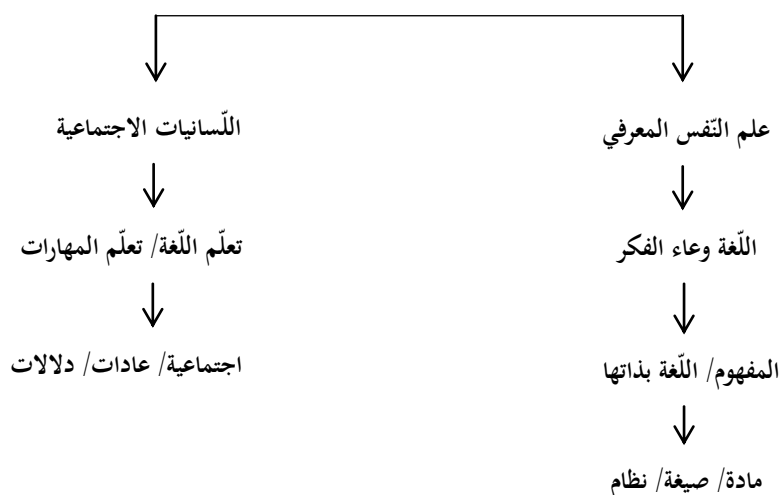


شكل 1: أركان العملية التعليمية

بأدوار المتكلم والمستمع معاً، متأثرة بعلم النفس المعرفي والاجتماعي، واللسانيات الاجتماعية.

كل هذه الأركان تجمع وفق مقارنة عينية يراها كلٍّ موجه صالحة للأداء التعليمي، ولذلك تعددت المقاربات من تقليدية تلقينية، وبنوية إلى تواصلية تهتم

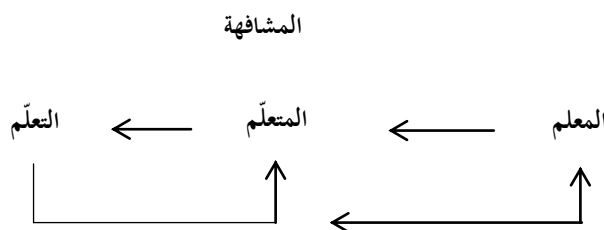
المقاربة التواصلية



شكل 2: ماهية المقاربة التواصلية

تقوم المشافهة بعدة أدوار: دور أفقي من المعلم إلى المتعلم، ودور ارتدادي من المتعلم إلى المعلم، ودور تفاعلي بين المتعلمين حرّ ومنظّم، ودور حلزوني متماوج بين المعلم والمتعلمين. واللغة هي الوسيط الحربي هذه الأدوار مجتمعة.

فيماذا ساهمت المقاربة التواصلية؟ وماهي آلياتها؟ وهل استطاعت مساعدة المعلم والمتعلم على تحقيق الكفاءة اللغوية؟ إن أهم مرتكز تقوم عليه هذه المقاربة هو الحوار أو المحادثة، ونصطلح على تسميته في هذا المقام: المشافهة لاعتبارات لغوية ولسانية تعليمية وإجرائية.



الشكل 3: أدوار العملية التعليمية

- المخاطب بالكسر: وفي هذا المقام المعلم والمتعلم معًا.
- المرسل إليه: ويسمى المستقبل والمستمع والمتلقي، المخاطب بالفتح والمعلم والمتعلم معًا.
- الرسالة: وتسمى أيضا الإرسالية والمرسلة، والمضمون، والخير والخطاب، وهي محدّدة لعناصر الخطاب، ومحدّدة برموز أو تتابع لفظي خاضع لنظام لغوي مشترك بين العنصرين السابقين، يشمل اللغة الشفوية، الإيحاء، الصوت.
- القناة: وهي التي تسمح بقيام التواصل بين المرسل، والمرسل إليه وعبرها تصل الرسالة من نقطة معيّنة إلى نقطة أخرى.⁽²⁾

- إنّها تحقق في ذاتها أهدافا منها:
- التعبير.
- ربط العلاقات.
- إكتساب خبرات ومهارات.
- تقويم المكتسبات.
- التواصل.
- إثبات الذات.
- تثبيت الملكة التواصلية أو إكسابها.
- دون أن ننسى أنّ للعملية التواصلية أقطابا خمسة لا تكون إلاها وهي في معظمها متقاطعة مع عناصر العملية التعليمية؛ لذلك بات لزاما أن ترى هذا الوصل بين العملية التعليمية التعليمية، والمقاربة التواصلية وهي:
- المرسل: ويسمى الباث، والباعث، والمُلقي، والمتكلم.

قلنا- من نظام اللّغة: أي أنّها احترام
للمستويات اللّسانية: النّحوية، والصّرفية،
والمعجمية والدّلالية والتركيبية، ودمج لها مع
سياقها الاجتماعي، محترمة الفروق الفردية
بين عناصرها ومتطّبات الوضعيات
التّواصلية.

فإذا كان ذلك كذلك تحتم علينا أن
نعرف ماذا تستطيع التعليميّة أن تحقّقه
استجابة لمطلب التّواصل بدءًا، وتحقيقًا
للملكة التّواصلية انتهاءً.

إنّ من شروط التّواصل حصول
الفائدة، وإنّ من مطالب التّعليميّة تحقيق
الإفادة بين المعلّم والمتعلّم؛ فهي إذن عمل
هادف مشروط؛ هادف لأنّه مساق موجّه،
ومشروط بغياب التّعقيد، والغموض،
والإبهام والإلغاز، والتّخلص من عيوب
الكلام عامّة.

وتضطلع تعليميّة اللّغة خاصّة
بشقيها: الشفوي والكتابي بتحقيق ما قدّمنا
عن طريق استراتيجيات محترمة التّوازن في
مهارات التّواصل اللّغوية الأربعة: الاستماع،
التّحدّث، القراءة، الكتابة باستعمال
المشافهة قناة وأداة وهدفا مع آليّة سنتطرق
إليها لاحقًا وهي التلقين والتكرير.

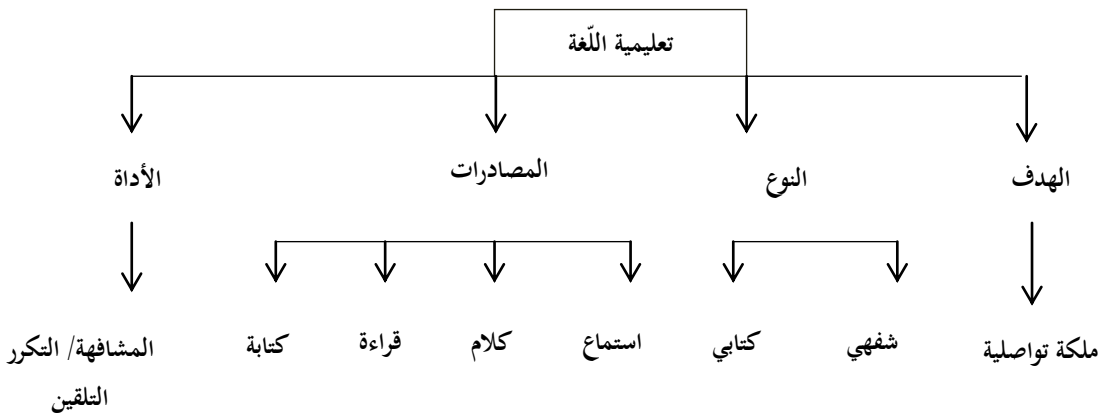
فالتّواصل اللّغوي تشارك بين اثنين
فأكثر، والمشاركة تقتضي تفاعلًا على درجة
واحدة أو أقرب أو أكثر؛ يقول سيبويه⁽³⁾:
"إعلم أنّك إذا قلت: فاعلته فقد كان من
غيرك إليك مثل ما كان منك إليك حين قلت
فاعلته ومثل ذلك ضاربته وفارقتة وكرمته"

ويقول الجاحظ: "إذا لم يكن
المستمع أحصر على الاستماع من القائل
على القول لم يبلغ القائل في منطقة، وكان
النقصان الدّاخل على قوله بقدر الخلة
بالاستماع منه"⁽⁴⁾.

ولذلك لا يحصل الكلام إلا إذا وافق
خطًا شريكًا بين المتكلّم والسّامع، وحظّ قبول
عند المستقبل.

يقول طه عبد الرّحمن: "لا يكون
كلامًا حتّى تحصل من النّاطق إرادة توجيهه
إلى غيره، وما لم تحصل منه هذه الإرادة، فلا
يمكن أن يعدّ متكلّمًا حقًا"⁽⁵⁾. ولذلك فدرجة
التّلقّي تقتضي توافقًا أو مشاركةً نسبيّة بين
المتخاطبين.

إذا ثبت هذا فاعلم أنّ المقاربة
التّواصلية تتضمن معرفةً كاملة أو كافية
للّغة، وتقتضي استعمالًا اجتماعيًا لها.
ونقصد بالثانية تحقّق القدرة التّواصلية،
ونجاحها من خلال مراعاة شروط الجماعة:
سياقًا، وقبولًا، وأداءً، دون التجرد -كما



الشكل 4: التواصل والتعليمية

1- الاستماع:

- فهم المعنى الإجمالي للرمز الصوتي.
 - تفسير الكلام والتفاعل معه.
 - تقويم المسموع.
 - ربطه بالخبرات الشخصية.⁽⁷⁾
- إذا ثبت هذا تأكد لنا أنّ المشافهة استلزاماً جوارياً في الاستماع، وأنّه مع علائقه الصوتية واللغوية والثقافية استلزام حوارى مع الذات أولاً في تقبل المسموع أو رفضه، ومع الآخر في تقويم المسموع أو نقده، أو ترتيب المكتسبات...

2- التحدّث أو الكلام:

- هو الكلام المنطوق الذي يعبر به الفرد عن أفكاره، ويسمى المحادثة والتعبير الشفوي بوساطات أخرى أيضاً كالإيماء والإشارة باليد والوجه ونبرة الصوت.⁽⁸⁾
- وإجرائياً هو استجابة لمثير أو أكثر داخلي أو خارجي ويصنّف ضمن نشاط تعليمي موجه، أو يرافق الأنشطة التعليمية التعليمية، وينقسم إلى وظيفي وإبداعي. الأول لقضاء حاجات في وضعيات دالة، والآخر هو التعبير عن الأفكار والخواطر شفويا بأدبية وإثارة وجمال.⁽⁹⁾
- ومن أهدافه التعليمية:

- التدريب على مواجهة مواقف مختلفة بترتيب ونظام.
 - حضور البديهة، والاستجابة السريعة والآنية.
 - سرعة التفكير والترتيب.
 - التغلب على الخجل والتردد.
- ولا يخلو التعبير من بناء؛ إذ يستلزم انسجاماً وقدرة لغوية، ورصيда معجمياً وخبرة في التلفظ.

هو وسيلة للفهم، وأداة قريبة للاتصال بين المتكلم والسّامع، ويعتمد على الانتباه، والتّنفّس وحلّ الشّفرات الصوتية والحركية والفراغية - السّكنات-.

يعرّفه شحاتة بأنّه فهم الكلام أو الانتباه إلى شيء مسموع مثل الاستماع إلى متحدّث. ويعرّفه عبد الرحمن بن صالح الخميس: مفهوم هذه المهارة هو تلقي الأصوات بقصد، وإرادة فهم وتحليل.⁽⁶⁾

إنّه مرافق دائم في العملية التعليمية التعلمية، وحماية وقائية أولى للمتلقّي من أخطاء صوتية، ولغوية، أو عدوى مباشرة وسريعة لكلّ الأخطاء اللغوية. وبذلك تبرز أهميّة الاستماع باعتباره فناً وبرز الاقتناع بذلك، فهو ملازم وفيّ للإلقاء والمحاضرة والقراءة أيضاً.

وأهمية الاستماع في المراحل الأولى في التعليم الابتدائي تفوق أهمية القراءة بكثير.

ويعتمد الاستماع أساساً - وإن تعددت أشكاله بين مرّكز، وهامشي واستمتاعي، نقدي- على المشافهة التي بدورها تؤسّس التّعلم الجيّد للغة بتخيّر النّص أو المدوّنة لفظاً وتركيباً وإجادة للخطاب، وتحقيق الإيقاع ونغمات الكلام.

إنّه يقوّي في المتعلّم عادات الاستماع الجيّد من يقظة وانتباه ومتابعة، فتبني عنده معجمه اللّغوي وسياسة التركيبي، وتقلّص زمن التّعلّم، ومسافة التواصل.

ويتخطّى الاستماع البعد الفيزيولوجي السّمعي وصحّته في ترجمة الموجات الصوتية إلى البعد العقلي الذي يحدّد في مكّونات أربع هي:

التواصلية، والذي يساعد في وضوحها أو إيضاها. على الوجهين هو استجابة المتعلم وتأثيره، ذلك أن تأثره بالمسموع وتأثيره يعكس رغبته في توصيل رسالة أو درجة في فهمها واستقبالها. ويترب عليه بعد ذلك استجابات أخرى داخلية وخارجية، فردية وجماعية، متصلة ومنفصلة.

ويزيد هذه الدلالات وضوحا حين ينتقي المعلم استراتيجيات نشيطة لأدائه من تهيؤ، واستكشاف وتنظيم، وانفتاح على القراءة¹² مع الحرص على استجلاء معاني النص ومفرداته، وجملة بروابطها وقرائها وفهم بنية النص ونمطه. ولا يكون ذلك إلا بالحوار والمناقشة وتوجيه الفكر نحو مغالق النص ومفاتيحه.

4- الكتابة أو التعبير الكتابي:

هو رابع مهارة في التواصل اللغوي والاجتماعي يعرفه أنطوان صياح بأنه "عملية ذهنية قائمة على نقل الأفكار والآراء والانطباعات والأحاسيس من الحيّز المجرد إلى ميدان التعبير المادي المتجسد في المفردات والتعابير والجمال المترابطة مع بعضها البعض والمدونة كتابيا حسب نظام لغة معينة فيما يسمى نصا"⁽¹³⁾. وهو نشاط تعليمي مدمج، تدمج فيه المعارف اللغوية والثقافية والأدبية والجمالية الخطية والابداعية.

إنه نشاط كتابة وإعادة كتابة، كما كانت القراءة، قراءة وإعادة قراءة وفي تقويمه تثبيت للمعارف وترتيب لها.

كما يظهر فيه الشقّ التعاوني سواء أكان ذاتيا يشمل تعاون المتعلم مع المعلم أم جماعيا عندما يكون مشروعا يتطلب تضافر مهارات الجماعة، ودمج الأنشطة من استماع وإعداد وقراءة وجمع وتنظيم ومناقشة... ويتخلله في أدائه جانب من

والمعلم في أدائه الموجّه يحرص على استثارة هذه القدرات وتقويم أجزائها بالحوار والسؤال، والتنبية، والتغذية الراجعة. وتعدّ المشافهة وسيطا بين التعبير الشفوي نشاطا، وبين التعبير الشفوي تواصل، وتظهر هذه العلاقة جلية في الانتقال من وجوبية التعبير الافتراضي إلى وجوبية التعبير التواصلية.

وإن كانت في كثير من الأحيان تتداخل. فالمتعلم يستعمل التعبير لتعلم التعبير بآلياته اللغوية والتربوية والتواصلية عن طريق الحوار، والمناقشة، والعرض والحجاج. وهي أنشطة تفاعلية تتطلب مشاركة أكثر من متعلم في كل منها"⁽¹⁰⁾ فهي تواصلية تشاركية.

ولنجاح هذا النشاط لا بدّ ألا يجمع المتعلم، ولا يوقف إلا في حدود تقويم الخطأ وبصورة مدمجة لا صادمة.

3- القراءة:

هي نشاط مفتاح، يوسّع دائرة النشاط السابق، ويعمّق التواصل اللغوي في شقّه المكتوب النصّي.

والقراءة رديف الاستماع في تواصلية، وتختلف عنه في تحرك الفكر نحو النص بتأويله وفهمه واستخراج معارفه، واستعمالها في موافق دالة⁽¹¹⁾.

فهي عملية عقلية معرفية، كما أنها ما وراء معرفية، تساعد المتعلم على مراقبة ذاته في أدواته المختلفة تنغيما، ونبرا، ووصلا، وفصلا، وتفخيما، وترقيقا.

وتبرز المشافهة فيما في شقّها الجهري؛ لأنها تحويل للرمز المكتوب إلى رمز صوتي مسموع سواء أكانت قراءة ذاتية أم استماعية أم استماعية. ويبرز التواصل في النوعين الأخيرين خاصة إذ يظهر فيها جانب القصد والإفادة، وهما ركننا الملكة

أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية؛

فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشرح والباب ويخرج عن الإجمال... فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شدا، فلا يترك عويصا، ولا مهمما، ولا منغلقا إلا وضحه وفتح له مغلقة، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته".

والملاحظ من كلام ابن خلدون أن التدرج والتلقين أساسيان لاصطحاب المعرفة ثم تداولها ثم تثبيتها، ولا يتحقق آخره إلا بالتكرير الهادف الموجّه، الملقى بالمعارف في روية.

فالتكرير ضرورة لأنه عودة ولكتها عودة فيها زيادة وخلوص للأهم بصورة الإجمال ثم التفصيل ثم التجزئ ثم الإحاطة.

ويراعى في ذلك كله قدرة المتعلم واستعداده، وبذلك يشجب المصطلح السلبي آلية التلقين ويثبت مصطلح التلقين والتكرير الإيجابيين، المعرّز لآلية التفكيك بالشروط المذكورة أعلاه.

فإذا كان ذلك كذلك خلصنا إلى أنّ المشافهة مسار وأداة وقناة تُوصل بالعملية التعليمية التعليمية إلى اكتساب التواصل وبه - مع ما فيه - من توجيهه وتكرير ووظيفيّة *إفادة* يحقق ملكة في إطارها المتكامل.

المصادر والمراجع:

- 1- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.
- 2- حنفي عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980.
- 3- أنطوان صياح، تعليميّة اللّغة العربيّة، دار النهضة، بيروت، ج1، 2، 2000.
- 4- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998.

الشفويّة، ينتقل فيه المَعلم بين الأنشطة بتوجيهه، ونقده، وتقويمه، وتنبهه، والمتعلم باستجابته: قبولاً، ونقداً، ومتابعة وعرضاً.

هذه هي المهارات التي سعينا لتوضيح علاقة المشافهة بالملكة التواصلية، وقد أشرنا في مقدمة الموضوع إلى عنصر خامس هو التلقين والتكرير وهذا مقامه.

فالتلقين أداة فاعلة، وغرضه التفهيم، ويراه البعض منازحا للتعليم الكلاسيكي، ووسيلة غير تربويّة نتيجهما الخضوع والاستجابة السلوكيّة، ويدعو أصحاب هذا الرأى لنبذها - ضرورة - وتبني استراتيجيات معاصرة وفعّالة تجعل العقل قادرا للوصول إلى الحقيقة بمفرده دون نصوص شرعية ولا خطوات موجهة مؤطرة.⁽¹⁴⁾

إنّ دعاء المعاصرة يرون في التلقين ضعفا للإرادة، وإلغاء للذات وتعطيلا للملكات الفهم، واستلابا للإرادة، وحشو العقل بالحفظ والتخزين.

والحقيقة أن التلقين وما يعقبه بعد ذلك من تكرير يحفز الذاكرة وينشط العقل ويقرب المتعلم من المعرفة ثم يثبتها شريطة أن ينتهج في ذلك سبيل التدرج الواعي، والأمر الحثيث، والنهي الحكيم، والمراجعة الآتية والبعديّة. يقول ابن خلدون: "اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا شيئا، وقليلًا قليلًا، يلقي عليه أوّلا مسائل من كل باب في الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه حتّى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنّها جزئية وضعيفة، وغايتها

- 8- أحمد مدكور/ تدريس فنون اللّغة العربية، دار الفكر العربي، مصر، ط، 2000.
- 9- تدريس اللّغة العربية بين المصادر والصعوبة، دار البازوردي العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000.
- 10- أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط، 2008.
- 11- الموقع www.aluxa.net.sociad

- 5- الجاحظ، البيان والتبيين، تحق: عبد السلام هارون، مكتبة الجاحظ، مصر، ط4، ج1،
- 6- عمر أوكان، اللّغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000.
- 7- سيويوه، الكتاب، تحق عبد السلام هارون، الرسالة، ج4،

الهوامش:

- (1) - أنطوان صياح: تعليمية اللّغة العربية، دار النهضة، بيروت، 2006، ج1، ص 14.
- (2) - اللغة والخطاب عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص 44.
- (3) - الشاب سيويوه، تحق عبد السلام هارون، الرسالة، ص 4، ص9.
- (4) - اللّسان والميزان: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 214.
- (5) - البيان والتبيين، الجاحظ، تحق عبد السلام هارون، مكتبة الجاحظ، مصر، ط4، ج1، ص 80.
- (6) - شيطر: التكامل بين التقنية واللّغة: سعيد عبد الله، ط1، 2000، ص 23. وعلي أحمد مدكور: تدريس فنون اللّغة العربية، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 2000، ص 57.
- (7) - محمد صلاح الدين مجاور، تدريس اللّغة العربية بالمرحلة الإبتدائية: دار القلم، الكويت، ط4، ص 119، ص 201.
- (8) - أحمد مختار عمر معجم اللّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ص 1420.
- (9) - فهد خليل زاية، تدريس اللّغة العربية بين المصادر والصعوبة: ، دار البارودي العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006، ص 141.
- (10) - أنطوان صياح: تعليمية اللّغة العربية، ج2، ص 55.
- (11) - نفسه، ج2، ص 66.
- (12) - أنطوان صياح، تعليمية اللّغة العربية، ج2، ص 68.
- (13) - نفسه، ج2، ص 165.
- (14) - الموقع: www.aluxa.net.sociad